# الحكمة

# في

# شعر ابن المقرب

كان حازم القرطاجني يرى أن مجيء أبيات الحكمة في القصيدة بمنزلة التحجيل للفرس وقد شرح ذلك فقال : «إذا كان التخييل هو قوام المعاني الشعرية ، فإن الإقناع هو قوام المعاني الخطابية ، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع ، وإنما ساغ ذلك لأن النفوس تحب الافتنان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك ، والفن المراوح بين معانيه أفضل من الفن الذي لا مراوحة فيه ، لكن ينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة للأقاويل المخيلة ومؤكدة لها فيما قصد بها من الأغراض ، وأن تكون المخيلة هي العمدة .

**د. عبده عبد العزيز قلقيله**

وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون االأوقاويل المحيلة الواقعة فيها تابعة للأقاويل المقنعة ومؤكدة لمعانيها ومناسبة لها ، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة .

وقد كان المتنبي يحسن وضع البيت الإقناعي بين الأبيات المخيلة ؛ لأنه كان يُصدِّر الفصول بالأبيات المخيلة ثم يختمها ببيت إقناعي يعضد به ما تقدم من التخييل ويجم النفوس لاستقبال الأبيات المخيلة في الفصل التالي ، فكان لشعره أحسن موقع من النفوس ، ويجب أن يُعتمد مذهبه في ذلك فهو حسن»(١)

* * *

ويحسن التنبيه إلى أن الأبيات الحكيمة هي ما سماه رشيد الدين الوطواط بإرسال المثل وإرسال المثلين والكلام الجامع ، يقول في إرسال المثل : ويكون ذلك بأن يذكر الشاعر مثلاً في بيته ، ويقول في إرسال المثلين : وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر مثلين في بيت واحد ، أما الكلام الجامع فيتحقق بألا يترك الشاعر أبياته خلوًا من الحكمة والموعظة الحسنة .(٢)

وابن المقرب بحكمه المقنعة يصلح ـ كالمتنبي ـ أن يكون مثلاً لما قاله حازم ، لكنه يكثر منها حتى يمكن أن يكون تطبيقًا عمليًا لما نادى به الوطواط نظريًا ، ومهما يكن من أمر ، فلم تؤسس قصيدة واحدة في ديوانه على الحكمة ؛ لأنها من الأغراض الفرعية دائمًا ، لكنها بطَّنت معظم موضوعاته وأكثر أغراضه ، وهي تتردد بين القلة والكثرة في القصيدة الواحدة على الوجه الآتي :

١ ـ القصيدة رقم (١) ص٣ وفيها من الشعر الحكمي البيتان ١٧ ، ١٨ .
٢ ـ القصيدة رقم (٢) ص١٩ وفيها من الشعر الحكمي البيتان ١ ، ٤ .
٣ ـ القصيدة رقم (٤) ص٢٦ وفيها من الشعر الحكمي البيتان ٥٠ ، ٦٨ .
٤ ـ القصيدة رقم (٥) ص٣٥ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ـ٤١ .

٥ ـ القصيدة رقم (٧) ص٤٧ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ٥ .

٦ ـ القصيدة رقم (٨) ص٥٢ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١٢ ، ١٥ ـ ٢١ ، ٢٣ ـ ٢٥ .

٧ ـ القصيدة رقم (٩) ص٥٩ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١٠ ، ٣٥ ـ ٣٧ .

٨ ـ القصيدة رقم (١٠) ص ٦٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٤ ـ٧ ، ١٠ ـ١٨ ، ٢٠ ـ٢٢ ، ٧٧ ، ٧٨ .

٩ ـ القصيدة رقم (١١) ص٧٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٩ ـ ١٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٦ ـ ٧٢ .

١٠ ـ القصيدة رقم (١٢) ص٨٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٤ ـ ٧ .

١١ ـ القصيدة رقم (١٤) ص١٠٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١٢ ، ٤٢ ، ٤٣ .

١٢ ـ القصيدة رقم (١٥) ص١٠٥ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣ ـ ٧ ، ١٦ ، ١٧ .

١٣ ـ القصيدة رقم (١٧) ص١٢٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ٥ ، ٢٧ ـ ٢٩ .

١٤ ـ القصيدة رقم (١٩) ص١٣٢ وفيها من الشعر الحكمي البيتان ٤٩ ، ٥٠ .

١٥ ـ القصيدة رقم (٢٠) ص١٤٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ١٣ ، ٢٧ ـ ٣١ ، ٦٦ ـ ٦٩ ، ٧٢ .

١٦ ـ القصيدة رقم (٢١) ص ١٤٩ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣ ـ ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ـ ٢٥ ، ٣٠ ـ ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢ ـ ٤٥ .

١٧ ـ القصيدة رقم (٢٣) ص١٦٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٢ ـ ٧ ، ١٧ .

١٨ ـ القصيدة رقم (٢٤) ص١٦٧ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ١٢ ، ٣١ ـ ٣٥ ، ٣٨ .

١٩ ـ القصيدة رقم (٢٥) ص١٧٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٥ ـ ٧ ، ١٧ ـ ٢١ ، ٢٣ ـ ٢٥ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧ ،.

٢٠ ـ القصيدة رقم (٢٩) ص١٩٨ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٥٠ ـ ٥٢ .
٢١ ـ القصيدة رقم (٣٣) ص٢١٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧ .
٢٢ ـ القصيدة رقم (٣٦) ص٢٢٩ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ٤ .
٢٣ ـ القصيدة رقم (٣٧) ص ٢٣٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٤ ـ ٨ .
٢٤ ـ القصيدة رقم (٣٨) ص٢٤٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣ ـ٥ ، ٨ ، ٩ .
٢٥ ـ القصيدة رقم (٣٩) ص٢٥٢ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٢ ـ ١٠ ، ١٣ ، ٢٨ .
٢٦ ـ القصيدة رقم (٤١) ص٢٦٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٢ ، ٣ ، ١٠ ـ ٢٠ ، ٥٠ .

٢٧ ـ القصيدة رقم (٤٢) ص٢٧٢ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٧ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٤ .

٢٨ ـ القصيدة رقم (٤٤) ص٢٨٣ وفيها من الشعر الحكمي البيت ٤ .
٢٩ ـ القصيدة رقم (٤٦) ص٢٩٢ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣ ، ٤ ، ١٢ ، ١٣ .
٣٠ ـ القصيدة رقم (٤٨) ص ٣١٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ .
٣١ ـ القصيدة رقم (٤٩) ص٣٢٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣ ـ ٥ ، ٦ ـ ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ .
٣٢ ـ القصيدة رقم (٥٠) ص٣٣٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٢٠ ، ٢١ ، ٣٧ ـ ٤٣ ، ٤٧ ـ ٤٩ .
٣٣ ـ القصيدة رقم (٥١) ص٣٤١ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٤١ ـ ٤٩ .
٣٤ ـ القصيدة رقم (٥٢) ص ٣٥٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ٧ ، ١٨ ، ١٩ .
٣٥ ـ القصيدة رقم (٥٤) ص٣٦٤ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٧ ـ ٩ ، ١٢ ، ١٧ ـ ١٩ ، ٤٥ ـ ٥٠ .

٣٦ ـ القصيدة رقم (٥٥) ص ٣٧٠ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٣٣ ، ٣٨ ـ ٤٣ .

٣٧ ـ القصيدة رقم (٥٦) ص٣٧٨ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ، ٣ ـ ٧ ، ٩ ، ١١ ـ ١٣ ، ١٥ .

٣٨ ـ القصيدة رقم (٦٢) ص٤١٣ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ٨.

٣٩ ـ القصيدة رقم (٦٧) ص ٤٤٨ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ، ١٩ ـ ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ .

٤٠ ـ القصيدة رقم (٦٨) ص٤٥٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٦ ـ ٩ ، ٦٧ ـ ٧٢ .

٤١ ـ القصيدة رقم (٧٠) ص ٤٦٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١، ٦ ـ ١١ .

٤٢ ـ القصيدة رقم (٧١) ص٤٧٣ وفيها من الشعر الحكمي البيتان ٦٢ ، ٧٥ .

٤٣ ـ القصيدة رقم (٧٢) ص٤٨٣ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ٧ ، ٢٣ .

٤٤ ـ القصيدة رقم (٧٨) ص٥١١ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١ ـ ٤ ، ١٢ ، ١٤ ـ ٢٢ .

٤٥ ـ القصيدة رقم (٨٠) ص٥٢٦ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٢ ـ ٢٢ ، ٢٤ ـ ٢٦ .

٤٦ ـ القصيدة رقم (٨١) ص٥٥٤ وفيها من الشعر الحكمي البيتان ٢٥ ، ٣٤ .

٤٧ ـ القصيدة رقم (٨٩) ص٥٩٤ وفيها من الشعر الحكمي البيت ٥٠ .

٤٨ ـ القصيدة رقم (٩٠) ص٦٠١ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٥٧ .

٤٩ ـ القصيدة رقم (٩٣) ص٦٢٣ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٥ ـ ٢٧ ، ٣٤ .

٥٠ ـ القصيدة رقم (٩٦) ص٦٤٩ وفيها من الشعر الحكمي الابيات ٣ ، ١٠ ـ ١٢ .

٥١ ـ القصيدة رقم (٩٨) ص٦٥٧ وفيها من الشعر الحكمي الأبيات ١٥ ـ ١٧ ، ٣٢ ـ ٣٨(٣)

● ● ● ● ●

وننظر في هذه الحكم بغية تصنيفها وردها إلى مصادرها التي أوحت بها وساعدت عليها فنجدها موزعة هكذا :

١ ـ حكم حماسية تدعم مذهب القوة ، وهو مذهب دان به ابن المقرب ورآه مخرجًا له وللدولة العيونية مما انزلقت إليه وتردت فيه من تخاذل وضعف ، وقد استمدها من واقعه وواقع دولته ، ومن يقرأ ديوانه يرى كيف آده هذا الواقع وأثقل كاهله .

ونمثل لذلك بمقدمة القصيدة رقم ٣٦ ص٢٢٩ قال :

لا عزَّ إلا بحدِّ الصارم الذكر    وضربِك الصيدَ بين الهام والقَصَر
وقودك الخيل تمضي في أعنتها    يعاجل العزم أولاها عن الخبر
وبالطِّوال الرُّدَيْنِيات تدرك ما    فوق المنى لا بِطوال الذيل والشَّعَرِ(٤)

* * *

وأطول نفَسًا من ذلك قوله في القصيدة رقم ٧٨ ص٥١١ .

بسمر القنا والمرهفات الصوارم    بناء المعالي واقتناء المكارم
وفي صهوات الخيل تدمى نحورها    شفاء لأدواء القلوب الحوائم
وما الفخر إلا الطعنُ والضربُ والندى    ورفض الدنايا واغتفار الجرائم
ولف السرايا بالسرايا تخالها    حرارَ الحجاز أو بحارَ اللواطمِ(٥)
تقحمها قُدمًا إلى الموت فتيةٌ    ترى عيشها في الذل حزَّ الغلاصم(٦)
ومن طلب العلياء جرَّد سيفه    وخاض به بحر الردى غير واجم
فما عظمت قِدمًا قريش ووائل    على الناس إلا بارتكام العظائم
ومن لم يلجْ بالنفس في كل مبهم    يعشْ عرضًا للذل عيش البهائم
ومن لم يقدها ضامرات إلى العدى    تُقَدْ نحوه عوجُ البُرى والشكائم(٧)

فما انقادت الأشرار إلا لغاشم    له فيهم فتك الأسود الضراغم
فمن رام أن يستعبد الناس فليمل    عليهم بأطراف القناغَبْرَ راحم
فأكثر من تلقى لسانُ مسالم    وتحت جآجى الصدر قلبٌ مصادم(٨)
كلام كَأَرْى النَّحل حُلْوٌ وإنه    لأخبثُ غِبًّا من لُعاب الأراقم
فيا خاطب العلياء ليس منالها    برفع الغواشي واتخاذ التراجم(٩)
فدع عنك ذكراها فبعض صداقها    ورود المنايا واحتمال المغارم

**وابن المقرب** هنا يطِبُّ لنفسه ولقومه ويستحثهم على ما فيه نجاتهم مما ينتظرهم على أيدي أعدائهم الطامعين في ملكهم ويطلب منهم أن يكونوا أقوياء غير رحماء ، يخشى الناسُ بأسَهم فيخضعون لهم .

٢ ـ حكم مسالمة موادعة وهي حكم تمثل مرحلة تالية للمرحلة التي قال فيها الحكم السابقة ، وإذا كانت الحكم الأولى موجبة ، فإن الحكم التالية سالبة ، وهي حكم أنطقه بها يأسه من استجابة قومة له ، وإحساسه بأن عنادهم موردهم مورد التهلكة ، قال مفتتحًا القصيدة رقم ٣٩ ص٢٥٢ .

دع الدار بالبحرين تعفو ربوعها    وسقها ولو لم يبق إلا نسوعها
وخلِّ أحاديث المطامع والمنى    ألا إنما أشقى الرجالَ طموعُها
ولا تحسدَنْ فيها رجالاً بِشِبْعِها    فخير لها من ذلك الشِّبْع جُوعها
فلا بد للمُتْخي على الزادِ وحده    إذا ما امتلا من هَوْعَة سَيهوعها
وإن دولة ولَّتْ قفاها فولِّها    قفاك فأعيي كل شيء رجوعها
ولا تتعبَنْ في نصحِ من غابَ رشده    وهوِّن فبخفَّاض المباني رَفُوعها
لعل ذرًا تهوى فتعلو أسافلٌ    لذاك فرفَّاع البرايا وضوعها
وبع بالقلى دار المهانة والأذى    فما الرابح المغبوط إلا بَيُوعها .

وتلتقي هذه الحكم مع الحكم الأولى في أن منبعها واحد هو المجتمع الإحساني والدولة العيونية ، وما أحسن قوله في البيت الثالث عشر من هذه القصيدة :

**إذا نفرت عن قريةٍ طيرُ سَعْدها     لما يرتجى إلا بِنَحْسٍ وقوعها**

وقوله في البيت الثامن والعشرين منها :

**وليس لنا في الدُّرِّ إلا محارة     ولا في عذوقِ النخل إلا قُمُوعُها**(١٠)

والحكمة في البيتين ذاتية ، لكنها مستمدة من البيئة البحرانية ، وكانت على عهد ابن المقرب ، بل إلى عهد قريب جدًا تعيش على التمر زراعة ، وعلى صيد اللؤلؤ تجارةً .

٣ ـ حكم مشرِّعة جامعة ، وهي في تشريعها تستنّ سننًا حميدة ، وتضع لكل سلوك فرديٍّ أو جماعيٍّ معيارًا يضبطه ويحدد قيمته ، بل إنها لتتعدى ذلك إلى المقومات الأساسية للدولة القوية ، وترسم الحدود الفاصلة بين ما ينبغي وما لا ينبغي في الأمور المادية والمعنوية ، بناءً على مقاييسه الخاصة به ، وهي مقاييس ذاتية غير ملزمة ، وقد تكون غير مسلمة .

نجد ذلك في مقدمة القصيدة رقم ٢٤ ص١٦٧ قال :

**العز ما خضعت لهيبته العدى     وأقام بالفكر الملوك وأقعدا**
**والمال ما وقَاك ذَمًّا أو بنى     علياك أو أبقى لقومك سؤددا**
**والجود ما بُلَّتْ به رحِمٌ وما     أوليت ذا أمل أعدك مقصدا**
**واللؤم إكرام اللئيم لأنه     كالذئب لم يرَ عَدْوةً إلا عدا**
**والعزم ما ترك الحديدَ مُفَلَّلاً     والخيلَ حسرى والوشيجَ مقصدا**(١١)
**والنَّبْلُ فتكك بالمُعادِيِّ غادرًا     أو وافيًا مستنجدًا أو منجدًا**(١٢)
**غدر يعز ولا وفاء معقب     ذلا ، وجهل كفَّ ذا جهل هدى**

فإذا ظفرت من العدوِّ بغرَّةٍ   فافتكْ ففتك اليوم منجاةٌ غدا
والحلم في بعض المواطن ذلةٌ   فاصفحْ وعاقبْ واعجلَنْ وتأيَّدا
ما كلُ حلمٍ مصلح فَلَطالما   غرَّ السفيه الحلمُ عنه وأفسدا
كل السيادة في السخاء ولن ترى   ذا البخلُ يدعى في العشيرة سيدا
ومن الخساسة أن تكون على العدى   غيثًا وفي الأَدْنَيْن ليثًا ألبدا(١٣)

والقراءة المتأنيه لهذه الحكم تهدى إلى أمور كثيرة منها : أنها توجيه سياسي واقتصادي واجتماعي ، وهو توجيه إيجابي غرضه الإصلاح وعلاج الأدواء السائدة لكن بطريقة غير مباشرة .

●●●●●

٤ ـ حكم مستمدة من التكوين النفسي للشاعر ، وهو تكوين طبقي ، لحمته أنه أمير وسداه أنه فقير مضطهد ، قال من القصيدة ٤٢ ص٢٧٢ :

لأركبن من الأهوال أعظمَها   هولاً وما يحفظ الرحمن لم يُضَعِ
ما أقبح الذل بالحر الكريم وما   أسوا وأقبح منه العز باللُّكَعِ
المجد أعتق والآداب بارعة   وذروة المجد مصطافي ومرتبعي
لا خير في منزل تشقى الكرام به   ويُلْحَقُ السَّيِّد المتبوعُ بالتَّبَعِ

والحكم هذه المرة تُسامِتُ الفخر ، وتضخم الإحساس بالذات حتى ليضيق بها إطارها ، وينتزى عنها غضبها على من أضاعوا طريقها وأكلوا حقوقها .

وإذا نظر إلى هذه الحكم وأمثالها في حينها على أنها حديث نفس أو ثورة نفس ، فإننا ننظر إليها الآن ، وبعد ثمانية قرون من قولها على أنها صورة نفس عزيزة مهتضمة ، يؤازر ذلك ويعين

عليه ، بل ويشرحه ويوضحه مسلكه الذى سلكه ، ومنهجه الذى التزمه ونصح غيره به في مقدمة القصيدة رقم ٢٠ ص١٤٠ قال :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فلا عجبًا إن اسلمتك الأباعد
ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئ فذا الناس إما حاسد أو معاند
وعدً عن الماء الذي ليس ورده بصافٍ فما تعمى عليك الموارد
وكم منهلٍ طامي النواحي وردتُه على ظمأ وانصعت والريق جامد(١٤)
فلا تحسبنْ كلَّ المياه شريعةً يُبل الصدى منها وتُوكَى المزاود(١٥)
فكم مات في البحر المحيط أخوظما بِغُلَّتِه والموج جارٍ وراكد
وإن وطن ساءتك أخلاق أهله فدعه فما يغضى على النقص ماجد
فما هَجَرٌ أمٌ غذتك لِبانُها ولا الخَطُّ إذ فارقتها لك والد
وقد ربما يجزى على الصد والقلى أب وأخ والمرء ممن يساعد
فَبُتَّ حبالَ الوصل ممن تَوَدُّه إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
وقل لليالي كيفما شئتِ فاصنعي فإن على الأقدار تأتي المكائد
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله فطعم المنايا كيفما ذقتَ واحد

* * *

وابن المقرب في هذه الحكم صاحب أنفة ، وهو يتراءى لنا رجلَ فكرٍ وفلسفة لكنه يعيش في منطقة الظل ، وكأنه لا يبغى عنها حولا .

٥ ـ حكم مستمدة من التراث بعد أن تمثله وهضمه ، وبعد أن وسمه بميسمه ، وإذا كان قد صاغها صياغة جديدة ، فإنها برغم صياغتها الجديدة هذه تستدعي إلى أذهاننا مصدرها ، وتثب به إلينا ، ولا يقتصر ذلك على حكمه بل ينسحب على كثير من أغراضه وصوره ، وابن المقرب ليس بدعًا في هذا ، فكل شاعر كذلك ، وأي أديب لا يتمرس بالتراث الأدبي يأتي أدبه جَدْبًا فجًّا ، ومن هذا المنبع استمد ابن المقرب حكمًا كثيرة جدًا . من ذلك قوله في القصيدة رقم ٨١ ص٥٥٧ .

**وشَكَلَةُ السيف أمضى في العدوّ وإن    فُلَّتْ مضاربه من شكلة القلم**

**فهو من قول أبي تمام :**

**السيف أصدق أنباء من الكتب    في حده الحد بين الجد واللعب**

وقوله في القصيدة نفسها :

**بعدله والدم المهراق حصنها    ولا يقر دم إلا بسفك دم**

فالشطرة الثانية ـ وهي الحكمة ـ مستمدة من قول الله تعالى : «ولكم في القصاص حياة» ومن قول العرب : «**القتل أنفى للقتل**» .

٦ ـ حكم مستمدة من التراث ومن وقع الأحداث معًا ، وهذا هو الطابع الغالب على حكمه كقوله في القصيدة رقم ٤١ ص٢٦٦ وهي قصيدة جاءت على منوال قصيدة قطري بن الفجاءة :

**أقول لها وقد طارت شعاعا    من الأبطال ويحك لن تراعي**

قال ابن المقرب :

**ردي مر الحتوف ولا تراعي    فما خوف المنية من طباعي**

وعزمًا صادقًا فلكم مضيق    بصدق العزم صار إلى اتساع
ومن هاب المنية أدركته    ومات أذل من فقع بقاع(١٦)

●●●●●

ولا تمضي الحكمة خالصة ، بل تأتي ممتزجة بشجاعة الشاعر ، وبنقده اللاذع لمجتمعه قال :

تخوفني ابنة العبدي حتفي    وإقحامي المهالك وافتراعي
فقلت لها وقد أربت وزادت    رويدكِ - لاشقيت - فلن تطاعي
دعيني أركب الأهوال إني    رأيت ركوبها فيه اتداعي(١٧)
فإن بأرضنا بقرًا شباعًا    ولكن بين آساد جياع
وهل يهنا البهيمةَ خِصْبُ مرعى    إذا ما آنست صوت السباع
يراع لفرقه الأوطان نِكْسٌ    ضعيف العزم أخلى من يراع(١٨)
وكم من فرقة طالت فكانت    بُعيد اليأس داعية اجتماع

●●●●●

بعد هذا التصنيف لشرائح الحكمة عند ابن المقرب ، وما أكثرها ، نختم بهذه الحكم الرائعة له ، وقد أتت في الأبيات ٤١ ـ ٤٩ من القصيدة ٥١ ص٣٤١ قال :

أيا نفس صبرًا للمنايا فربما    أتى فرجٌ للمرء والمرء غافل
فكم ضاق أمرٌ ثم وافى اتساعه    وما عاجل إلا ويتلوه آجل
وقد يأمن النقص السها لاحتقاره    ويخشى الخسوف البدر والبدر كامل
وما بين موتور ولا بين واتر    لفصل القضا إلاَّ ليال قلائل
وليس عجيبًا أن يحقَّر عالِمٌ    لدى جاهل أو أن يُوقَّر جاهل
فقد ربما للجد يُكرم ناهق    فيخلى له المرعى ويُحرَمُ صاهل
وقد يلبس الديباج قردٌ ولعبة    وتُلوى بأعناق الرجال السلاسل

**وما الدهر إلا فرحة ثم ترحة    تَناوَبُها الأيام والكل زائل**
**فقَرِّى حياءً واطمئني جلادة    فأي كريم سالمته الغوائل**

إلى آخر ما قال ، وهي حكم تقع في ذواكرنا على بعض الآيات القرآنية ، والأبيات الشعرية ، والحكم الشائعة .

**فمن الآيات القرآنية :**

**«ومن يتق الله يجعل له مخرجًا .....»**
**«فإن مع العسر يسرًا . إن مع العسر يسرا» .**
**«وتلك الأيام نداولها بين الناس ....»**
**«كل من عليها فان» .**

**ومن الأبيات الشعرية :**

ما بين غمضة عين وانتباهتها    يغير الله من حال إلى حال
ربما تكره النفوس من الأمـ    ـر له فرجة كحل العقال
لا تنكري عطل الكريم من الغني    فالسيل حرب للمكان العالي
وكأن الزمان أصبح محمو    لاً هواه مع الخسيس الأخس
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجى    هلكن إذًا من جهلهن البهائم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله    وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
أفاضل الناس أغراض لذا الزمن    يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

**ومن الحكم الشائعة :**

- **الصبر طيب .**
- **اشتدى أزمة تنفرجي .**
- **إن غدا لناظره قريب .**

- من مأمنه يؤتى الحذر .
- ويل لعالم أمره إلى جاهل.
- قيراط حظ أنفع من فدان شطارة .
- يُعطى القرط من ليس له أذنان .
- الدهر يومان يوم لك ويوم عليك .
- لا فرح يدوم ولا حزن يدوم .
- المؤمن مبتلي .

* * *

أما بعد فإن حكم ابن المقرب ـ وهي أحد مضامينه الشعرية المهمة ـ لا ينهض بها ، ولا يوفيها حقها مقال محدود الصفحات ، وإنما تحتاج إلى دراسة مستفيضة تفسرها وتحللها وتردها إلى مصادرها من نفس صاحبها ومن ظروفه المحيطة به ، ومن قراءته ومكونات ثقافته ، ثم تصنفها تبعًا لذلك ، وقد راعيت في هذا البحث بعض ذلك لا كله ، وهو لذلك جهد المقل وليس جهد الوافي .

## • الهوامش •

١ ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** الصفحات ٢٩٣ و٣٦١ و٣٦٢ ، ت. محمد الحبيب بن الخوجة. تونس، ١٩٦٦ م .

٢ ـ **حدائق السحر في دقائق الشعر بالفارسية** الصفحات ١٥٥ و١٥٦ و١٨٦ ترجمة إبراهيم الشواربي . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٤٥ .

٣ ـ مصدر هذا التحديد هو **ديوان ابن المقرب** ، ت. محمد الحلو ط ١ ، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م . نشر مكتبة التعاون الثقافي بالأحساء .

٤ ـ **القصرة** : أصل العنق ، والرديني : الرمح نسبة إلى ردينة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح .

٥ ـ **حرار الحجاز خمس هي** : حرة بني سليم وحرة واقم وحرة ليل وحرة شوران وحرة النار ، **واللواطم** : **الأمواج يلطم** بعضها بعضا .

٦ ـ **الغلصمة** : اللحمنيين الرأس والعنق .

٧ ـ **البرة** : حلقة تجعل في أنف الناقة أو الفرس ، **والشكيمة** : حديدة اللجام المعترضة في الفم .

٨ ـ **الجؤجؤ** : الصدر ، وعني بما تحت الجآجئ ما تكنه الصدور .

٩ ـ **الغواشي** : الأغطية ، والعفاة يأتونك ، والزوار يتنابونك ، **والتراجم** : جمع الترجمان ، **أي تكون مقصودًا** للناس من كل لون وجنس فلا تفهم منهم ولا **تُفهمهم إلا** بترجمان .

١٠ ـ **عذوق النخل** : شماريخ البلح ، **وقمع الثمرة** : ما التصق **بأسفلها وهو ما يصلها بالشماريخ** .

١١ ـ **مفللا** : متكسرا ، والوشيج : شجر الرماح ، **ومقصدا** : مكسّرًا .

١٢ ـ في الديوان (والنُّبل) ولا يستقيم به المعنى ؛ فما بعده ليس نبلاً .

١٣ ـ **تأيدٌ** : تقوى ، **وألبد** : ذو لبد .

١٤ ـ **منهل طام** : عال ممتلئ ، **وانصاع** : انفتل وقفل واجمًا .

١٥ ـ **شريعة** : مباحة ومشروع ورودها . **الوكاء** : رباط القربة ،وتوكي المزاود معناه تربط بعد ملئها .

١٦ ـ **الفقع** : البيضاء الرخوة من الكمأة ، ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقاع ؛ لأنه لا يمتنع على من جناه ؛ ولأنه يوطأ بالأرجل .

١٧ ـ **الاتداع** : السكون والاستقرار .

١٨ ـ **النكس** : الضعيف الذي لا خير فيه ، وهو أيضًا المقصِّر عن غاية الكرم والجود . **اليراع** : القصب ، ومن لا رأي له ، والجبان .